

وصايا العفيف
الأخضرفاروق يوسف
كاتب عراقي

أوصى المفكر التونسي العفيف الأخضر (1943-2013) أخاه قبل أن يتوفى بأن يحرق كل أوراقه ودفاتره "لقد كتبت كل أفكاري في كتبي". كان الرجل الذي نذر حياته من أجل الكتابة الحية، المتعمدة، الإنشائية، المستفزة والملتزمة بعدالة القيم الإنسانية حريصا على ألا يصيب التشويه أفكاره من خلال جمل ناقصة، كتبها تحت تأثير مزاج عفو. وإذا ما كان الروائي حسونة المصباحي قد اختار "وصايا العفيف الأخضر" عنوانا لكتابه عن المفكر، الذي عرفه في وقت مبكر من حياته، فإن تلك الوصايا لم تكن سوى عدد من رسائله ونصوحه ومقابلاته التي لم يسبق نشرها أو نشرت على نطاق ضيق.

نلك الكتاب بعيد الاعتبار إلى مفكر نادر من نوعه، اعتبره الكثيرون يوما ما نبراسا لولادة ثورة جديدة في العالم العربي.

العفيف الأخضر من جهته لم يخدعه ذلك التصنيف بل كان حريصا على سلامه الداخلي ومتطابقا مع حريته في التفكير. لذلك فإنه اعتبر نفسه تقديميا ورجعيا في الوقت نفسه. هاجمه الشيوعيون حين كان يبحث عن شيوعيته الخاصة. رجل تحولات، اعتبرها الكثيرون تناقضات تصل إلى درجة الخيانة.

أذكر جيدا ما الذي كان اسم العفيف الأخضر يعنيه بالنسبة لجيلنا في سبعينات القرن العشرين. كان داعية حرية، المفكر الطبيعي الذي لم يتوان عن توجيه نقد صادم لحركات التحرر الوطني من داخلها، وهو المفكر الذي سبق لهذه الحركات أن تبنت أفكاره.

كتاب المصباحي يسלט الضوء على سرّ الأخضر الذي لم يأخذه معه إلى القبر. لقد قال كل شيء في حياته كما أوصى أخاه. بعيد المصباحي مواطنه الأخضر إلى الواجبة، لأنه يعرف جيدا أن مفكرا من نوعه لا يزال ضروريا من أجل أن تواجه عالما زائفا يصير على الكذب في زعمه أنه يقول الحقيقة.

لقد دمرت الثورات الكاذبة حياتنا، وهو ما كان العفيف الأخضر قد حذر منه بعد أن تخلّى عن دعمه لحركات التحرر الوطني التي اكتشف فسادها.

«لون سريع» فيلم خيال علمي لا يخلو من دراما اجتماعية

قدرات خارقة تجعل من عائلة ذات أصول أفريقية تهديدا كونيا



طاقة روحية هائلة

إنسانة طبيعية وأما، لكنها لا تجد إلى ذلك سبيلا، فالأم هي التي تضعها في زاوية حرجة وتحاسبها على ما اقترفته. تقع الأحداث على خلفية الجذب والجفاف شبه الكامل، وحيث يتم شراء كميات محدودة من الماء بثمان مئة، وفي وسط هذه الأزمة سوف تجد روث نفسها محاصرة وسط مسؤولين حكوميين مسلحين يريدون اعتقالها. ولعل هذا المشهد هو من أكثر المشاهد المؤثرة، إذ تستخدم روث قدراتها في خلخلة الأنواء الجوية مما يؤدي إلى هطول الأمطار بجزارة وسط دهشة الجميع، فلما يقدم أولئك المسؤولين على اعتقال روث تستخدم الأم قدراتها للمرة الأولى ومن ثم تنقذ روث وابنتها.

يتم بناء الأحداث على خلفية اجتماعية شديدة القمامة تجسد اغتراب روث، فضلا عن استمتاع الطفلة باكتشاف قدراتها الاستثنائية، أما الأم فإنها تعيش مجد العائلة من نوي القدرات الخارقة. ولعل من الملاحظ على صعيد الإيقاع

تهشم الزواج أو جميع الزواج المهشم أو صنع قطع حديدية من برادة الحديد وغيرها.

وتعطي أغلب مشاهد الفيلم في حدود ذلك المنزل ويتحوّل المكان إلى صومعة لتلك القدرات الخارقة والقدرات الاستثنائية للابنة وللام.

إلى درجة تأثيرها في قوانين الجاذبية وما يحيط بها من أشياء. وتخوض روث المغامرة إلى نهايتها، وخاصة عندما تكتشف أن هناك من يتعقبها من الذين أرسلتهم الحكومة الفيدرالية على أساس المخاطر التي يشكلها وجودها، وخلال رحلة طويلة من الهروب من السلطات تسكن في أحد الفنادق الرخيصة، وقبل أن تسيطر عليها الطاقة التدميرية تطلب من مسؤولة الفندق أن تحتفي هي وابنتها بعيدا عن الجدران والزجاج، وبالفعل تتسبب في زلزال مدمر.

ويضي السرد الفيلمي لنتبع جوانب من سيرة روث الشخصية، حيث أنها تنتمي إلى عائلة من الأصول الأفريقية، التي توارثت جميعها تلك الطاقة الروحية الهائلة.

وتعود روث إلى منزلها القديم لتجد أمها وابنتها تعيشان فيه، وهي التي كانت قد تركت طفلتها بسبب انجرافها في تيار الإدمان على المخدرات، وحين أفاقت من ذلك الإدمان وجدت نفسها محملة بتلك الطاقة الهائلة. أما الطفلة فيأمنها تلك

موازنة ما، في محاولة منها كي تعود

الخلائي، الجدة والأم والحفيدة، هن الشخصيات الدرامية في فيلم "لون سريع"، واللاتي تدور من حولهن الأحداث، في ما يشكل الخيال العلمي عنصرا مكملا لهن، ممثلا في قدراتهن الاستثنائية، مما أفرز حبكة درامية قل ما جادت بها أفلام الخيال العلمي.

طاهر علوان
كاتب عراقي مقيم في لندن

لا شك أن القدرات الخارقة كانت إحدى الثيمات التي عالجتها سينما الخيال العلمي، في سعي لتجاوز العوائق المادية والزمانية والمكانية، فضلا عن القدرات الفيزيائية التي طالما كانت هاجسا لشخصيات هذه الأفلام في رغبتها ومسعاها لتحقيق التفوق على الآخر.

وبموازاة ذلك هناك المحيط الذي سوف يبرز أيضا بوصفه تحديا للشخصية ومحاولة إبقائها في حدود قدراتها الضيقة، وهي في الغالب وسيلة لتأسيس بناء درامي وصراع بين الشخصية وبين المحيطين بها. تلك هي الخلاصة التي يمكن الوصول إليها عند قراءة هذا النوع من أفلام الخيال العلمي. وتغلب على هذا النوع من الأفلام القدرات العضلية الخارقة، فضلا عن مرونة الحركة وسرعة الانتقال، ونذكر من ضمن ذلك مسلسلات "سوبر مان" و"الرجل الحديدي" و"الرجل العنكبوت" و"الرجل الخفاش" و"الفاني"، والعديد من الأفلام مثل "لوغان" و"كابتن أميركا" و"حراس المجرة" وغيرها.

وفي فيلم "لون سريع" للمخرجة الأميركية جوليا هارت لا تكمن القدرة الخارقة للشخصية على الطاقة الجسمية بل إن القصة مختلفة، إذ إن الأمر يتعلق بفتاة ذات قدرة استثنائية في التأثير بالمكان.

ويقدم الفيلم شخصية روث (الممثلة كوكو ميانا راو) التي تمتلك قدرة في خلخلة المكان حولها وصولا إلى ما يشبه الزلزال الحقيقي. ويقع ذلك في زمن غير معلوم عندما تتجتاح العالم حالة جفاف غير مسبوقة، فيما تنتقل روث من ولاية إلى أخرى متسببة في زلزال مدمر

باريس تحثي ببيت موريوزو أيقونة الانطباعية المنسية

لقد كانت بيت موريوزو في تلك الحقبة من الوجوه الفنية البارزة، وحتى بعد أن تزوجت أوجين ماني -أخا إدوار- ظل بيتها الفاخر بباريس قبلة أعلام الفن والأدب في ذلك الوقت. بيد أنها لسوء حظها، مرت كالكسهم، أو كبرق خلب، كتلميح انطباعي، إذ توفيت في الرابعة والخمسين، ولم تحظ باعتراف يليق بقيمة فنّها إلا الآن، من خلال هذا المعرض الباريسي.

تحت بلقونة، في فضاءات تقع بين الداخل والخارج وتوحي بأجواء شاعرية أقرب إلى الحلم. كما تميزت لوحاتها أيضا بميلها إلى تضييق الأطر للتأكيد على الطابع الحميم الذي يخيم على مشاهدنا الداخلية. كل ذلك حقق لها حضورا لافتا، حتى أن الصحافي بول مانتر كتب يقول عام 1877 "لا يوجد في المجموعة الثورية كلها سوى انطباعي واحد. إنه السيدة بيت موريوزو".

على فرض أسلوبها الخاص، فابتدعت ما سمي بـ"ما لم ينته"، حتى أن بعض النقاد أطلق عليها "ملاك اللامتكلم"، فقد برعت عبر لوحاتها المتتالية في تحقيق فن التلميح، وهو غاية ما يطمح إليه الانطباعيون.

والحديث بالنسبة إليها ليس في تحيّر ثيماتنا، بل في طريقتها في الإخراج والتأطير، فشمسيتها لوحاتها تبدو دائما قرب نافذة، أو في شرفة، أو على فرض أسلوبها الخاص، فابتدعت ما سمي بـ"ما لم ينته"، حتى أن بعض النقاد أطلق عليها "ملاك اللامتكلم"، فقد برعت عبر لوحاتها المتتالية في تحقيق فن التلميح، وهو غاية ما يطمح إليه الانطباعيون.

والحديث بالنسبة إليها ليس في تحيّر ثيماتنا، بل في طريقتها في الإخراج والتأطير، فشمسيتها لوحاتها تبدو دائما قرب نافذة، أو في شرفة، أو على فرض أسلوبها الخاص، فابتدعت ما سمي بـ"ما لم ينته"، حتى أن بعض النقاد أطلق عليها "ملاك اللامتكلم"، فقد برعت عبر لوحاتها المتتالية في تحقيق فن التلميح، وهو غاية ما يطمح إليه الانطباعيون.

والحديث بالنسبة إليها ليس في تحيّر ثيماتنا، بل في طريقتها في الإخراج والتأطير، فشمسيتها لوحاتها تبدو دائما قرب نافذة، أو في شرفة، أو على فرض أسلوبها الخاص، فابتدعت ما سمي بـ"ما لم ينته"، حتى أن بعض النقاد أطلق عليها "ملاك اللامتكلم"، فقد برعت عبر لوحاتها المتتالية في تحقيق فن التلميح، وهو غاية ما يطمح إليه الانطباعيون.



فن أقرب إلى التلميح

بان تزوج كل واحدة منها أكاديميا. اختارت بيت موريوزو منذ بلوغها سن العشرين الاستقلالية وسرعان ما فرضت نفسها كفتاة محترقة، رغم أن وسطها الميسور كان يمكن أن يقبها الحاجة، ويضمن لها زيجة محترمة. وهي التي كتبت في عام 1971 "لن أحصل على استقلالتي إلا بالعمل المتواصل والتفتح على كل جديد". وكانت تطمح منذ البداية إلى توثيق الفن التشكيلي، تعمل في معظم أوقاتها في الهواء الطلق، شأن سائر الانطباعيين، حتى تتمثل الطبيعة في لوحاتها كحسب ما يكون التمثل، وتشغف ذلك برسم الحياة الداخلية لشخصياتها.

ومنذ العام 1860، أحاطت نفسها بثلة من الفنانين المجددين أمثال إدوار ماني (الذي لم يشارك في أي معرض من المعارض الثمانية التي أقامتها مجموعة الانطباعيين) وإدغار دوغا، وبيير بوفتي دوشافان، وحتى بعض رجال السياسة كجول فيري، دون أن تتخلّى عن مشاغلها الأنثوية التي كانت تُسقطها على شخصياتها، لتبرز حساسية جديدة قريبة من أجواء الحلم.

ولم يمض وقت طويل حتى بدأت تعرض أعمالها في "الصالون" الرسمي، قبل أن تشارك عام 1874 في أول معرض ينظمه الانطباعيون، بلوحاتها الشهيرة "المهد"، إلى جانب "لعبة الغمّضة" اللتين يمكن اكتشافهما في المعرض الباريسي الذي يضم ثلاثا وسبعين لوحة.

وخلافا لانطباعية أخرى تدعى إيغا غونزاليز (1883-1849) اعتادت أن تستلهم لوحاتها من إدوار ماني، كانت بيت موريوزو تهتم بتقنيات الضوء، والعمل في الهواء الطلق، وإقامة علاقة حسية باللون تكاد تكون شبقية. ولكنها حرصت

من المفاجآت المذهلة معرض يقيمه متحف "كي دورسي" بالعاصمة الفرنسية باريس هذه الأيام، لفنانة أسماها بيت موريوزو كانت من رواد الحركة الانطباعية، ولم يشغف لها انتمائها إلى حلقة المؤسسين الأوائل ولا قيمة الأعمال التي أنجزتها في تلك الفترة من تسجيل حضورها المستحق في تاريخ الفن.

والانتقاء بطلاب مدرسة الفنون الجميلة، التي كانت لا تقبل الفتيات في فصولها، وظلت ابوابها موصدة في وجههن حتى مطلع القرن العشرين.

هناك تعرفت بيت موريوزو على فانتان لاتور، وكارولوس دوران، وستيفنس، فصارت تدعوهم كل ثلاثاء إلى بيت الأسرة، وكان يتردد عليه أيضا جان باتيست كميل كورو الذي سمح للأختين بالعمل إلى جانبه في مرسمة بيفل دافري. وبذلك أمكن لهما عرض أعمالهما في "الصالون" بداية من 1864.

لوحات بيت موريوزو تميزت بميلها إلى تضييق الأطر للتأكيد على الطابع الحميم الذي يخيم على مشاهدنا الداخلية

بيد أن الفنانين كانوا ينظرون إليهما كامراتين لا تصلحان لغير الزواج، فقد كتب إدوار ماني إلى صديقه هنري فانتان لاتور عام 1868، بخصوص هاتين الأختين اللتين تمارسان الرسم، هذه الكلمات التي تنبئ عن الموقف العام الذي كانت تقابل به كل امرأة تجعل الرسم حرفة "أنا على رأيك، الأنسان جميلتان. من المؤسف أنهما ليستا رجلين، ورغم ذلك يمكن أن تقدمنا، كامراتين، خدمة جليلة للفن،

أبويكر العيادي
كاتب تونسي مقيم في باريس

عند الحديث عن الانطباعية يحضر في الغالب أسماء كلود موني، وبيير أوغست رينوار، وبول سيزان وإدغار دوغا، وكميل بيزارو، والفريد سيسلي، وغوستاف كايوت، وجان لوي فوران، وجورج سورا، كاعضاء مؤسسين لمجموعة الانطباعيين، ولا أشر لامرأة، رغم أن بيت موريوزو (1841-1895) كانت هي أيضا، إلى جانب الأميركية ماري كاشات (1844-1926)، من الأعضاء المؤسسين الذين شاركوا الانطباعيين حساسيتهم الفنية، ومعارضتهم التي دشنتها عام 1874، ولكنها لم تتل ما تاله زملاؤها من اعتراف لأسباب خارجة عن الفن، وهو ما سعى متحف "كي دورسي" الباريسي إلى تداركه، لرفع الغبن الذي لقيته، وتعريف الجمهور العريض برائدة من رواد الانطباعية، شاعت لها أعراف المجتمع في ذلك الوقت أن تبقى في الظل، حتى أن بعض مؤرخي الفن رجحوا عنها أنها مجرد هاوية ترحي أوقات فراغها بالرسم رفقة أختها.

نلك أن بيت موريوزو نشأت في أسرة بورجوازية تهوى الفن، وكانت والدتها تخصص أستاذًا يعلم بنتها بيت موريوزو، وترسلها إلى متحف اللوفر لنسخ بعض اللوحات المعروضة،